الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ١٩ فبراير ٢٠٠٥

بقلم: إبراهيم نافع

من وراء اغتيال الحريرى.. وماهى أولويات لبنان الآن؟

اغتال الإرهاب الأسود فى جريمة بشعة رفيق الحريرى رئيس وزراء لبنان السابق يوم الإثنين الماضى، وقد جرت عملية الاغتيال المدبرة بإحكام بتفجير ٣٥٠ كيلو جراما من المتفجرات، وخرج مئات الآلاف من أبناء شعب لبنان لتشييع جثمان الفقيد فى جنازة شعبية مهيبة كانت - فى حد ذاتها - شاهدا على حجم شعبية الرجل لدى كل طوائف الشعب اللبنانى ومناطقه الجغرافية.

ونحن جميعا نستنكر وندين هذه الجريمة الإرهابية التى راح ضحيتها الحريرى وعدد من مرافقيه، لاعتبارات عديدة منها: أن هذا الرمز الوطنى اللبنانى اغتيل فى عمل إرهابى خطير، وأن هذه الجريمة تهدد بتفجر الوضع ليس فى لبنان فقط، ولكن فى منطقة الشرق الأوسط كلها، كما أن من يعرف الرجل، لبنانيا وعربيا ودوليا، يعلم تماما أنه لم يكن داعية حرب أو صراع، بل كان رجل اقتصاد وسياسة واعتدال من طراز نادر. فلقد أنشأ شبكة من المؤسسات الخيرية لمساعدة المحتاجين من أبناء الشعب اللبنانى فى مختلف المجالات، حيث أقام فى عام ١٩٧٩ المعهد الإسلامى للدراسات العليا فى مسقط رأسه بمدينة صيدا، وفى العام نفسه أنشأ مؤسسة الحريرى للثقافة والتعليم العالى التى تسدد نفقات وتكاليف التعليم والدراسة لآلاف الطلبة اللبنانيين فى الجامعات اللبنانية والأوروبية والأمريكية، وقد تولت حتى الآن الإنفاق على تعليم أكثر من ٤٢ ألف لبنانى.

لقد لعب رفيق الحريرى دورا بارزا فى الوصول الى اتفاق الطائف الذى أنهى الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٨٩، ونهض باقتصاد لبنان المدمر بعد أن تولى رئاسة الحكومة عام ١٩٩٢، وتمكن بعد أيام من تقلده المنصب من رفع قيمة العملة اللبنانية بنحو ١٥٪، ووصل بمعدل النمو إلى ٨٪ عام ١٩٩٤. وتمكن من خفض معدل التضخم من ١٣١٪ إلى ٢٩٪. كما أعاد الرجل إعمار منطقة وسط بيروت، وقطع خطوات عديدة على طريق استعادة لبنان دوره الاقتصادى فى المنطقة، وحتى عندما اختلف مع الرئيس إميل لحود، اتبع مسلكا هادئا فى التعبير عن معارضته، والتزم بالقواعد الديمقراطية فى مسعاه للعودة إلى السلطة عن طريق الانتخابات التشريعية المزمع عقدها فى مايو المقبل. ويكفى أن أشير إلى أن بورصة بيروت قد هبطت بنسبة ٤٪ بمجرد إعلان نبأ اغتياله.

إننى أستدعى كل ذلك وأنا أحاول الإجابة عن السؤال الخاص بهوية الجهة التى دبرت الجريمة ونفذتها، ومما يزيد من صعوبة الإجابة عن هذا السؤال هو أن المستفيدين من غياب الحريرى كثيرون أيضا، وبالتالى فإن أى محلل يضع مجمل هذه الاعتبارات أمامه سوف يصاب بحيرة شديدة ويجد صعوبة كبيرة فى توجيه أصابع الاتهام إلى جهة ما، وسوف يسأل نفسه الأسئلة التالية:

أولا : هل قتل الحريرى لاعتبارات داخلية كما أعلنت المعارضة اللبنانية؟.. فالخلاف كان متأججا بين جبهة النظام التى يطلق عليها «الموالاة» وبين قوى المعارضة اللبنانية التى انضم إليها الحريرى دون قصد بعد استقالته فى أكتوبر الماضى، فلقد اتهمت جبهة الموالاة المعارضة بالسعى إلى نسف اتفاق الطائف الذى أنهى الحرب الأهلية اللبنانية، واستبداله بالقرار ١٥٥٩ الذى يطالب بانسحاب القوات السورية من لبنان ونزع أسلحة المنظمات الفلسطينية فى المخيمات ونزع سلاح حزب الله. وهناك اتهامات وجهت للحريرى بأنه كان وراء صدور هذا القرار من خلال علاقة الصداقة التى تجمعه بالرئيس الفرنسى جاك شيراك، وأن الحريرى هو المحرك الفعلى للمعارضة اللبنانية وأن باقى شخصيات المعارضة ليسوا أكثر من مرافقين له.!!، أما قوى المعارضة فقد ركزت على ضرورة سحب سوريا قواتها من لبنان وكف يد المخابرات السورية عن التدخل فى الشأن السياسى اللبنانى، ووجهت اتهامات للحكومة بأنها باتت «دمية فى يد سوريا».

ثانيا : هل اغتيل الحريرى قبل الانتخابات التى كان متوقعا أن تكتسح فيها قائمة الحريرى مقاعد بيروت وصيدا على الأقل؟ فالخلاف كان شديدا بين الحريرى والحكومة التى سبق أن اتهمها باستهدافه فى الانتخابات التشريعية المقبلة عن طريق تقسيم العاصمة بيروت إلى ثلاث دوائر يغلب عليها الطابع الطائفى، بهدف تمزيق كتلته التى تسيطر حاليا على كل مقاعد بيروت. وسبق لوزير الداخلية اللبنانية سليمان فرنجيه أن أدلى بتصريح قال فيه: «إن تقسيم بيروت جاء على قاعدة أن للرئيس الحريرى حصته إذا كنا نتحدث سنيا، هناك حصة الشيعة والأرمن وجزء من السنة، وهناك حصة المسيحيين» كما أنه هدد المسيحيين فى حالة التحالف مع الحريرى، قائلا: «إن الدولة ستعيد خلط الأوراق فى بيروت».

ثالثا : هل قتل الحريرى على يد جهاز مخابرات أجنبى أراد تأجيج المشاعر المحلية والإقليمية والدولية المستعدة لذلك من خلال المطالبة بالتطبيق الفورى للقرار ١٥٥٩، ومن ثم إحراج سوريا بقوة وإجبارها على سحب قواتها فورا من لبنان، وإتمام عملية نزع أسلحة الجماعات الفلسطينية وحزب الله؟ وفى هذا الصدد أقول إن هناك جهات عديدة بادرت بتوجيه أصابع الاتهام لسوريا، وتحرك مجلس الأمن الدولى سريعا وأصدر بيانا رئاسيا ندد فيه باغتيال الحريرى وطالب من جديد بانسحاب القوات الأجنبية من لبنان، ودعا كوفى أنان الأمين العام للأمم المتحدة إلى إعداد تقرير عاجل عن ملابسات الحادث، وهى خطوة ستكون لها توابع غير محددة المعالم حاليا ولكنها تصب فى خانة زيادة الضغوط على سوريا، ومن ثم قد يكون كل ذلك مقدمة لتدخل عسكرى خارجى ربما يتجاوز حدود لبنان الجغرافية.

وهنا أتساءل : أليست هناك قوى إقليمية ودولية من مصلحتها حشر سوريا وتعريضها لضغوط داخل لبنان لكى تفتح الطريق أمام قبول تدخل دولى، وإعادة خلط الأوراق فى المنطقة وربما التخطيط لجر لبنان من جديد إلى اقتتال أهلى يصرف الأنظار عن مطالب عادلة باستحقاقات مشروعة؟.

رابعا : ماهى الأسباب وراء التصريحات الانفعالية الكبيرة لكل من كوندوليزا رايس ووليم بيرنز بضرورة الانسحاب الفورى لسوريا من لبنان غداة يوم الحادث ، ثم من رامسفيلد أمام الكونجرس باتهامه المطلق لسوريا بأنها دولة غير متعاونة مع المجتمع الدولى، وكأنه يمهد الرأى العام الأمريكى لعمل ما ضدها؟ كل ذلك بالرغم من أن التحقيقات الجدية فى الجريمة لم تبدأ بعد.

إن ما أود تأكيده هنا أنه من المبكر جدا توجيه الاتهام إلى جهة محددة أو طرف بعينه، فالاحتمالات كثيرة ومتعددة بتعدد المستفيدين من غياب الحريرى شخصيا أو تداعيات الاغتيال بهذه الطريقة الوحشية سواء كان ذلك لاعتبارات داخلية أو إقليمية ودولية.

ولكل ذلك يبدو أن أى تسرع بتوجيه أصابع الاتهام إلى جهة محددة قبل استكمال التحقيقات وإعلان النتائج، هو محاولة لاستثمار تداعيات اغتيال الحريرى لمصالح خاصة، ومحاولة للقفز فوق الحقائق التى ينبغى الحرص عليها بمواصلة التحقيق من خلال تعاون لبنانى مع لجنة دولية حيادية تنتمى لبلدان غير متورطة فى حسابات المعادلة اللبنانية، فالهدف الأول يجب أن يكون هو الوصول إلى الجناة ومحاسبتهم بكل قوة وشدة لاجتثاث أعمال الإجرام والإرهاب، وعدم التسامح مع المتورطين فى هذا العمل سواء كانوا دولا أو تنظيمات.

وفى جميع الأحوال تبدو الأولوية الأولى لنا جميعا هى أمن لبنان وتماسكه الداخلى، ومن هنا أدعو كل الفرقاء فى لبنان إلى التحلى بروح وطنية موضوعية وانتظار إعلان النتائج التى يمكن أن تشارك فى الوصول إليها جهات دولية حيادية، فالمؤكد أن العصف بأمن لبنان واستقراره لن يصب فى مصلحة أى فريق، وإنما سيدفع الجميع ثمنا باهظا فى المقابل وتكفى خبرة الاقتتال الأهلى اللبنانى التى استمرت سبعة عشر عاما وانهزم فيها الجميع.

وتبقى بعد ذلك كلمة أخيرة أوجهها إلى روح الشهيد رفيق الحريرى داعيا الله أن يتغمده بالرحمة والمغفرة، وأن يلهم أهله وكل من أحبوه الصبر والسلوان، فلقد كان رمزا وطنيا مخلصا ونبع عطاء دائم، وهب حياته في خدمة وطنه ووحدة لبنان وأمته العربية.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية